أشكال استغلال المجال الغابوي بأطلس مراكش، مجال سرو الأطلس بنفيس الأعلى كنموذج

Forms of exploitation of the jungle zone at the Atlas of Marrakesh, the zone of Cypré Atlas at Haute-Aghbar as a model

أ.عبد العزيز عبد الصادق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط- المغرب

ملخص: يندرج هذا المقال ضمن الدراسات البيئية المهتمة بدراسة المجالات الغابوية المغربية، خاصة الجبلية منها، فموضوع استغلال الموارد الغابوية يطرح إشكاليات تاريخية مرتبطة بقدم التعمير والاستقرار البشري قرب أو بداخل المجالات الغابوية مما يمنح الحق لهذه التجمعات البشرية من استغلالها، وإشكاليات قانونية واقتصادية يتداخل فيها رسمي (الدولة) والاجتماعي (الساكنة المحلية) مما يولد الصراع والتصادم بين المنتفعين ذو الحقوق وبين المصالح العليا للدولة، وإشكاليات بيئية من خلال الدور الكبير الذي تلعبه الغابات في حفظ التوازن البيئي والتراجع الذي يلحقها بفعل الاستغلال المفرط. ولمعالجة هذا الموضع تم الاعتماد على منهجية جغرافية تستند إلى التشخيص (تشخيص الموارد الغابة لمجال نفيس الأعلى) والتحليل (تحليل التدهور والتراجع الذي لحق هذا المجال الغابوي) والتفسير (تفسير عوامل هذا التدهور من خلال تحديد عوامل ودوافع الاستغلال الكثيف للمجال الغابوي)، ليتضح في الأخير أن المجال الغابوي لنفيس الأعلى يتميز بتنوع تشكيلاته النباتية، إلا أنه يتعرض لاستغلال مفرط من لدن الساكنة المحلية، ما فرض ضرورة التدخل للحد من هذا التراجع.

الكلمات المفتاحية: حوض نفيس، المجال الغابوي، سرو الأطلس، الطاقات البديلة، المقاربة التشاركية، التنظيم الاجتماعي، استغلال الموارد الغابوية.

Abstract: This article is concerned with the Environmental studies that deal with the domains that are related to the forest, especially its mountain component. The topic of exploitation of the forest resources raises historical issues and problems that are related to the old construction and human settlement and stabilization near or inside the forest's areas which gives the right to these human gatherings to exploit them. The same topic also raises legal and economic issues which include what is official (the state) and what is social (the local residents) which generates the conflict between the beneficiaries and the supreme interests and the policy of the state. It is also important to note that there environmental issues as well that can be seen through the vital role that the forests play in maintaining the environmental balance which is affected by their excessive exploitation. In order to solve these problems, a geographic method has been put which was based on a diagnosis of the forest's resources of the top area of Neffis, an analysis of the deterioration the forest, and an explanation of the factors behind this deterioration via specifying the reasons of the excessive use of the forest area. Based on what we have mentioned, so far, it has now become clear that the forest area of Neffis is characterized by the diversity and

the richness of its properties. However, the fact that it has been the subject of excessive deterioration by the local residents leads us to say that immediate measures must be solve this problem.

Keywords : Neffis basin, forest area, the alternative energies, collective participatory approach, exploitation of the forest resources, Cypré d'atlas.

مقدمة:

ينتج التوازن الإيكولوجي، من خلال توازن سلوكات الإنسان مع الوسط الطبيعي، فكلما كان التدخل البشري في البيئة سليما ومعقلنا ومتزنا، كانت التغيرات الناتجة عنه والمصاحبة للوضعية البيئية سليمة وغير مضرة بها، وهنا يبرز الدور الكبير الذي تلعبه الغابات والمحميات الطبيعية في حفظ التوازن البيئي، التي يفترض من الإنسان أن يحافظ عليها، ويضع لذلك قوانين وإجراءات واستراتيجيات مرنة ذات أهداف تنموية قادرة على جعل الموارد الغابوية مستديمة نظرا لدورها في الحد من التغيرات المناخية التي بات العالم يشهدها في السنوات الأخيرة والناتجة عن الأنشطة البشرية، هذه الدينامية المناخية التي تزايدت حدتها بفعل تراجع المساحات الغابوية على سطح الأرض.

بحكم موقعه المتوسطي (حوض البحر المتوسط) والانفتاح على المحيط الأطلسي، يتميز المغرب بتنوع مناخه والذي يعرف تدرجا وتباينا من الشمال إلى الجنوب، حيث المناخ المتوسطي شمالا والقاري الربط في الوسط والجاف القاحل جنوبا، هذه التمايز والتنوع المناخي انعكس على تنوع الغطاء النباتي والتي يعرف بدوره توزيعا متباينا، حيث تتركز أهم التشكيلات في الشمال خاصة في المجالات الجبلية أساسه الأرز والبلوط الأخضر والعرعر، وفي الهضاب الشرقية الجافة تسود السهوب والحلفاء، وفي الجنوب المغربي على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير والأطلس الصغير والهضاب الصحراوية نجد تشكيلات نباتية متأقلمة مع المناخ الجاف وهي عبارة عن نباتات شوكية وتشكيلات عشبية محلية، ويعد شجر الأركان أهم تشكيل شجري في هذه المجالات.

هذا الغنى النباتي عرف تراجعا وتدهورا كبريين جراء الاستغلال المفرض الناتج عن الاستعمالات الرسمية المتعددة للخشب خاصة في الفترة الاستعمارية من جهة، وضغط الأهالي المجاورين للمجالات الغابوية (ذو الحقوق) الذين يتشبثون بحق الانتفاع من جهة ثانية، ما دفع بالدولة إلى سن مجموعة من القوانين المنظمة الاستغلال الملك الغابوي كان أولها وأبرزها قانون 1917 المنتظم والمحدد للملك الغابوي وجعله ملكا للدولة.

يشكل المجال الغابوي لنفيس الأعلى الواقع بالأطلس الكبير الغربي نموذجا لمجال غابوي جبلي يتعرض لضغط كبير، ما جعله يعرف تدهورا وتراجعا كبيرا ناج عن تعدد الأنشطة البشرية التي يزاولها السكان المحليون المنتفعون. هذا الاستغلال الذي كان يخضع لرقابة "اجماعة"[1] والتي ساهمت إلى حد كبير في استدامة الموارد الغابوية خاصة صنف السرو التي يميز هذا المجال على باقي المجالات الغابوية المغربية.

[1] - اجماعة هي مؤسسة اجتماعية يوكل إليها بتسيير وتدبير شؤون القبلية أو مجموعة من القبائل التي تتقاسم نفس المجال، ويتم هذا التدبير وفق مجموعة من الأعراف المخلية المتوافق عليها.

أولا. الإطار المنهجي للدراسة:

1. إشكالية الدراسة:

تعد المحافظة على التوازن الايكولوجي من المسائل المطروحة لدى الدول والهيئات الوطنية والدولية، وعلى اعتبار أن الغطاء النباتي من العناصر الطبيعية الحيوية التي تتم على أساسها مجموعة من المشاريع، فقد أصبح عرضة للتدهور والتراجع الكبيرين، نتيجة لتداخل العناصر المناخية والتدخلات اللاعقلانية للإنسان على الأوساط الطبيعية. يتميز مجال أغبار الغابوي على انه مجال التنوع والغنى النباتي أساسه سرو الأطلس الذي يعد صنفا مستوطنا بامتياز، فهو صنف يميز مجال أغبار على غيره من المجالات الغابوية المغربية الأخرى, هذا التنوع الايكولوجي يتعرض لاستغلال مفرض قديم قدم التعمير والاستقرار بالمنطقة، ما شكل تهديدا كبيرا جعل ببداية تراجع وتدهور بعض الأصناف النباتية، ويزيد من هذا الاستغلال المفرض ضعف مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمجال، حيث يعد استغلال الموارد الغابوية أهم مورد اقتصادي بالنسبة للساكنة، بالإضافة إلى صعوبة وولوجية التجهيزات الأساسية من كهرباء وماء ومواد علفية، الأمر الذي يجعل الطلب على حطب التدفئة والطهي والمواد العلفية يرتفع بشدة خاصة في فصل الشتاء، فما هي مميزات هذا المجال الغابوي؟ ما دوافع الاستغلال الغابوي المفرط الذي تمارس الساكنة المحلية؟ ما انعكاسات ذلك على المجال الغابوي؟ ما طبيعة التهيئة التي يخضع لها؟

2.فرضيات البحث: لدراسة هذا الموضوع انطلاقنا من عدة فرضيات:

-يتميز حوض نفيس الأعلى بتنوع وتشكيلاته النباتية الشجرية منها والعشبية، ويشكل سرو الأطلس أساسها، غير آن هذه التشكيلات الغنية تعاني من التدهور والتراجع،

-استغلال المجال الغابوي بحوض نفيس يرتبط بعوامل عدة، منها ضعف مستوى التنمية للتجمعات البشرية المتوسطة قرب المجال الغابوي وصعوبة ولوجية التجهيزات الأساسية،

-تدبير وتهيئة المجال الغابوي يتخذ شكلين، شكل تقليدي يخضع للعرف الاجتماعي، وشكل عصري يخضع لتوجيه المندوبية السامية للمياه والغابات.

3.منهجية البحث: اعتمدنا في دراسة وتحليل البحث على منهجين:

المنهج التوثيقي: باستحضار مجموعة من الوثائق والدراسات التي تضمنت موضوع الدراسة في أبعادها المتعددة والتي تضمنت المشاريع والبرامج التنموية التي تمت برمجتها في المناطق الجبلية خاصة المتعلقة بتدبير استغلال المجال الغابوي والتي لها علاقة بموضوع الدراسة.

المنهج الوصفي: من خلال تتبع الإشكالية المدروسة في الميدان واستخلاص مقوماتها المعرفية والإجرائية، وتتبع مدى انجاز المشاريع التنموية خاصة المتعلقة بالحد من تراجع وتدهور المجال الغابوي والحفاظ على شجرة سرو الأطلس التي يميز المنطقة.

الدراسة الميدانية: شكل البحث الميداني الركيزة المنهجية الأساسية لدراسة الموضوع، حيث تم الاعتماد على معطيات الاستمارة الميدانية في إبراز طبيعة الاستغلال الذي يعرفه المجال الغابوي وتحديد تطلعات الساكنة المحلية من المشاريع المنجزة، بالإضافة إلى المقابلات الشفوية التي تمت مع الساكنة والمهتمين بالشأن المحلي والجمعوي والمسؤولي الإدارات العمومية المتدخلة

بالمجال، وقد تم الاعتماد على النظام المعلوماتي لتحليل المعطيات الإحصائية SPPS في معالجة وتحليل نتائج الاستمارة الميدانية، وبرنامج MAPINFO في انجاز الخرائط.

ثانيا. التحديد الطبيعي والإداري للمجال الغابوي

1. موقع مجال الدراسة

تقع غابة أغبار في الأطلس الكبير الغربي على ارتفاعات تتراوح بين 1700 م و 3882 م، تمتد على طول المجموعة الجبلية التي تقطعها الطريق الثانوية رقم 203، الرابطة بين مراكش وتارودانت، عبر ممر تزي نتاست، إلى حدود تزي نتشكا الذي تمتد إلى الجزء الشرقي للغابة. ويتحدد محيط هذا المجال الغابوي بمجموعة من الأعراف، الشيء الذي جعلها تقع داخل الحدود الطبيعية للحوض الأعلى لواد نفيس، وأحد أهم روافده العليا أسف أمسور على الضفة اليسرى:

في الشمال جبل غدات x=20914 y=444 235

في الجنوب جبل فليليس x=201 676 y=432 08

في الغرب جبل أغبار x=217 122 y=434 814

في الشرق جبل تمغور x= 184 674 y=436 884

وتصل مساحتها الإجمالية 20072.12 هكتار، تقتطع منها التجمعات الشجرية 5285.41 هكتار، والأعشاب 13625.71 هكتار، وتتكون أساسا من البلوط الأخضر وسرو الأطلس، العرعر الفواح والأحمر. وتتشكل هذه التشكيلات في 110 حيازة بمعدل 114 هكتار لكل حيازة (Etude D'aménagement de la foret domaniale D'Aghbar, 2004, p12)، وتتحدد في الشمال بغابة كندافة وكدميوا ودمسيرة. وتنقسم الغابة إلى مجالين متباينين من حيث الخصائص الطبوغرافية والمناخية؛ الجزء الغربي في هضبة تشكا وهي مجال المراعي العليا في الصيف، ويتميز هذا الجزء بكثافة التشكيلات العشبية، والجزء الشرقي الواقع على المرتفعات العليا، الذي يتحدد بجبل أغبار على الضفة اليسرى لواد نفيس وتزي نتاست وتزي نورغ، على الطريق الثانوية 203 الرابطة بين مراكش وتارودانت.

تنتمي هذه الغابة إداريا إلى إقليم الحوز قيادة ثلاث نيعقوب، جماعة أغبار. وتخضع لتسير المديرية الجهوية للمياه والغابات للأطلس الكبير بمراكش، ومركز التنمية الغابوية بأمزميز، انضمت إلى الملك الغابوي الوطني في 4 أبريل 1939م.

الخريطة 1 توطين مجال الدراسة

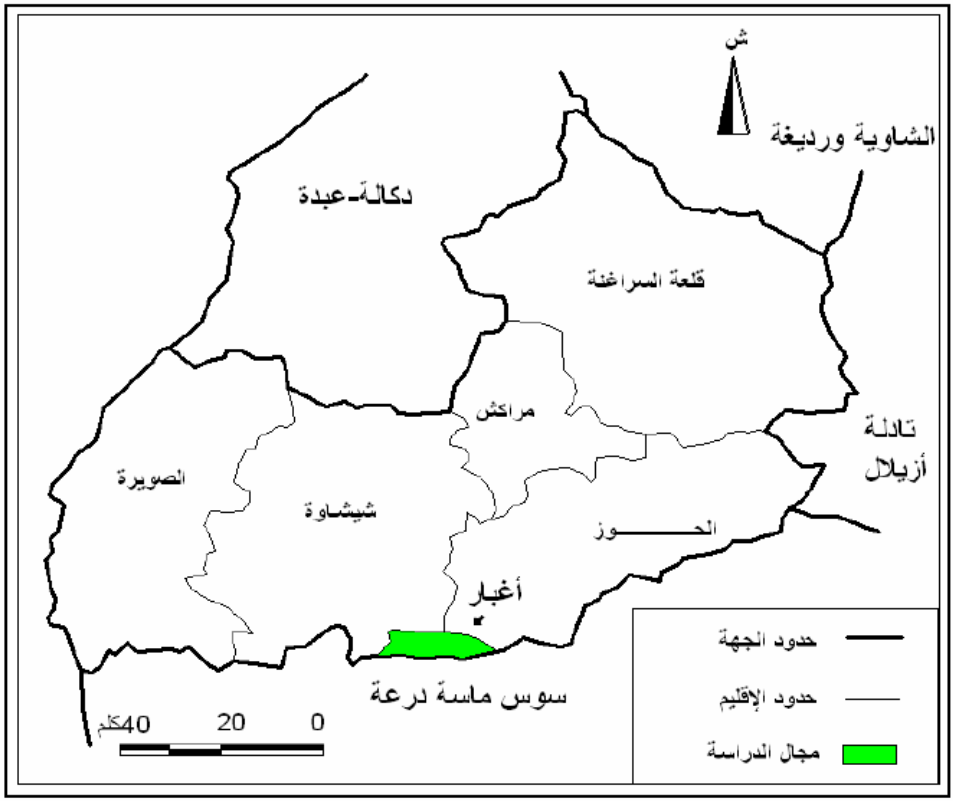

المصدر: الحوار الوطني حول إعداد التراب الوطني، 200 بتصرف

2. مميزات مناخية متوسطية ساهمت في وجود غطاء نباتي غني

يتميز مناخ المنطقة بشكل عام بمميزات المناخ المتوسطي المعتدل، الذي يتميز بشتاء بارد وصيف حار، حيث يتلقى في المتوسط 750 ملم سنويا. ويعرف تساقطات ثلجية مهمة في المرتفعات ابتداء من 1400م، هذه الأخيرة التي تعتبر احتياط مائي خلال الفترة الجافة. بالنسبة للحرارة، فمعدل الحرارة العليا يصل خلال فترة الصيف (يوليوز وغشت) إلى 40 درجة مئوية، وتنخفض ما بين شهري ديسمبر وفبراير إلى 0 درجة مئوية (وكالة الحوض المائي تانسيفت 2009). ويعرف هذا المناخ اختلافات سنوية وبيسنوية، وتؤثر هذه التغيرات بشكل كبير في خسارة كمية كبيرة من المياه خلال الأشهر الحارة، بسبب ارتفاع عملية التبخر. ويخضع لتأثير تيارين متباينين: الأول في الشمال وهو تيار بارد، وتيار جنوبي ينتج عن تشكل رياح الفهن، هذا التعاقب ينتج عنه تشكل مناخ شبه رطب، إذ يتجاوز معدل التساقطات 500 ملم سنويا.

ساعدت هذه المعطيات المناخية المتوسطية، على تشكل شبكة مائية كثيفة ذات مجاري مائية سطحية في غالبيتها مؤقتة، تأخذ من الجبال العليا وهضبة تشكا التي تعد المصدر الرئيسي لأهم المنابع المائية لواد نفيس، هذه المجارى تصب في شعاب ثانوية والتي تصب بدورها في أودية

فرعية. يلعب فيها وادي نفيس المجري الرئيس وترتبط به مجموعة من الروافد أهمها، أسيف أمسوي وأكدمت، (carte topographique de Tagnadaft 1/100000) ويعد سهل الحوز المستفيد الأكبر من هذه الكميات القادمة من الأطلس الكبير، الذي يلعب دورا مهما في تخزين المياه بفعل كميات الثلوج التي تتلقاها المرتفعات، ويدوم الجمد بها من دجنبر إلى أبريل، وبعد الذوبان يعمل على تغذية الأودية.وتشكيل غطاء نباتي متوسطي غني أساسه سرو الأطلس، الذي يجعل المجال غني إيكولوجيا بنبات متوسطي قُل نظيرة في الغابات المتوسطية(عبد العزيز عبد الصادق، 2004، ص18).

3. التشكيلات الغابوية المميزة للمجال

شكلت الظروف الطبيعية بحوض الأعلى لنفيس، مجالا ملائما لتشكل غطاء نباتي غني ومتميز، من حيث الأصناف الشجرية والتشكيلات العشبية، غير أن توزيع هذه التشكيلات على المستوى المجالي يعرف تباينات بين المرتفعات العليا حيث تسود التشكيلات الأولى كما في قعور الأودية، ولكل صنف أدواره البيئية والاقتصادية.

سرو الأطلس Le Cypré de L'Atlas: هو نبات متوسطي من صنف الصنوبريات، يصل ارتفاعه إلى 30 متر فما فوق، ويكون على شكليين أو صنفين؛ صنف أفقي وصنف عمودي، وفي غابة أغبار يوجد الصنف الأول، ويعرف محليا بإميجيط، ومن الخصائص الفيزيولوجية للشجرة أنها تعيش في وسط تتراوح تساقطاته ما بين 400 و500 ملم/ سنة (Alexandre Seigue, 1985, p21)، فهو نوع يتحمل الظروف التي تتعاقب على الوسط سواء الجفاف أو الرطوبة، ويتكيف جيدا مع المناخ الرطب، حيث يتحمل الحرارة المنخفضة (10- م°). أما معدل الحرارة العليا التي يتحملها فيتراوح بين 35 م° و 45 م°، ويتواجد في حوض البحر المتوسط في كل من تركيا وتونس وليبيا والجزائر والمغرب.

يغطي هذا النوع بأغبار مجالا آهلا بالسكان، إذ تتواجد الدواوير في قلب الغابة (كحالة دوار ودرارن) الشيء الذي يعرض هذه الأشجار إلى القطع المستمر، مما يجعله مهددا باستمرار، وقد ثم تصنيفه سنة 1976 من لدن المنظمة العالمية للزراعة من بين 17 نوعا من الأنواع الغابوية النادرة التي يجب حمايتها (Farid El Wahidi, 2004, p1) وتقدر مساحته الإجمالية 6.000 هكتار أي، % 0.51 من المساحة الإجمالية للغابة المغربية.

في سنة 1950، حددت محطة البحث الغابوي ثلاثة تجمعات لسرو الأطلس؛ الأولى في تاركا على ارتفاع 1100م والثانية على ارتفاع 1600م في إدني، والثالثة مابين 1800 إلى 2600 م (Targa) على الضفة اليسرى لواد نفيس أغبار، غير أن نفيس الأعلى يعتبر فضاءه الطبيعي. ويستطيع أن يعيش على الأتربة الهيكلية ويتمركز في 16 حيازة على مساحة 2230 هكتار، أي 12.06 % من مجموع مساحة الغابة في الشمال الغربي والجنوب الشرقي للغابة، وفي السفوح التي تتراوح مابين 50 إلى 100 % (Etude D'aménagement, 2004, p13) وله أدوار إيكولوجية واجتماعية(عبد العزيز عبد الصادق، 2009، ص55).

الصورة رقم 1: شجرة سرو الأطلس

المصدر: تصوير شخصي (العمل الميداني)

البلوط الأخضر Le Chêne vert: هو نبات متوسطي من صنف الورقيات، تصل مساحته الوطنية 1.360.000 هكتار، يتواجد في الأطلس المتوسط والكبير والريف. داخل التشكيلات النباتية لأغبار يوجد في وضعيات مختلفة، وفي أجزاء متفرقة مع تركزه أكثر في الشمال الشرقي، على ارتفاعات تتراوح ما بين 2200 م إلى 2800 م المشرفة على انحدارات قوية.

يوجد البلوط الأخضر داخل المجال الغابوي لأغبار؛ معزولا ومختلطا بتشكيلات أخرى، وتقدر مساحته 2140.99 هكتار، أي 40.51 % من المساحة الإجمالية للغابة (Etude D'aménagement, 2004, p8). يختلط كذلك مع العرعر على مساحة كبير(4.18 %)، ومع سرو الأطلس (3.41 %). ويعتبر الأكثر كثافة بالمحمية، ويمثل الحد الأقصى للتشكيلة الغابوية والمناطق الشبه العارية داخل حوض نفيس ككل، ويعرف كثافة قوية لأهم تجمعاته الطبيعية في الشمال على جبل فليليس، وما تبقى منها في الجنوب، وهى الأكثر تدهورا من الأولى. ولهذا النوع أدوار اجتماعية وبيئية واقتصادية على غرار سرو الأطلس.

العرعر Le Genièvre: هو نبات متوسطي من صنف الصنوبريات، يستوطن الجبال المتوسطية بأوربا والمغرب، يختلط مع جميع الأصناف الأخرى، ويتميز بتنوع أصنافه أهمها العرعر الفواح والأحمر، ويتواجد على ارتفاعات مابين 1300 إلى 2400 م. يتعايش مع البلوط الأخضر والصنوبر والأرز، وفي بعض الحالات يوجد على شكل تجمعات خاصة ويوجد بالأساس بالأطلس الكبير.

وفي مجال أغبار، يعد العرعر أقل كثافة من البلوط الأخضر وسرو الأطلس، وينتشر في مستويات أقل منهما، إذ ينحصر على ارتفاعات تنحصر بين 1500م و1800م، ولا تتعدى كثافته 25 % (محمد الإفريقي 1986)، ويختلط بالأساس مع البلوط الأخضر، تعرف غاباته تدهورا كبيرا خاصة في السفوح القريبة من التجمعات السكنية، مما يدل على أن غابات العرعر لها دور

اجتماعي مهم؛ حيث يستعمل بالأساس في البناء وكحطب للتدفئة، كما يستعمل في صنع بعض الأواني المنزلية (البحث الميداني صيف، 2008).

4. التشكيلات العشبية

تتوفر محمية أغبار على مجموعة من الأصناف النباتية الشجرية والعشبية، التي لعبت الظروف المناخية الرطبة، والتضاريس المرتفعة التي تتجاوز ارتفاعاتها 1800م- أي توفر عامل تضاريسي محلي- دورا كبيرا في تشكيل مجال ملائم لنمو مجموعة من الأصناف العشبية، خاصة في قعور الأودية، تشكل تجمعات قزمية تحشجرية.

هذه التشكيلات العشبية لها أدوار اقتصادية واجتماعية مهمة، فهي تلعب دورا كبيرا في استعمالها كأعلاف للماشية خاصة في المراعي الصيفية، كما هو الشأن بالنسبة لهضبة تشكا، وفي المراعي القريبة من التجمعات السكانية (ودرارن)، غير أن وظيفتها لا تقتصر على استعمالها كأعلاف، بل لها أدوار اجتماعية أخرى تتمثل في استعمالاتها المتعددة في التطبيب، واستعمالها كمواد عطرية وتجميلية، ويبرز الجدول التالي أهم الأصناف العشبية التي تتواجد بالغابة:

الجدول 1 أهم الأصناف العشبية بغابة أغبار

الاسم المحلي	الاسم العلمي
أزوكا	Tetraclinis articulata
أزوكن	Thymus saturejoides
أورزيد	Anthemis arbica
إزري	Artemesia
أزليم نوشن	Asphodelus microcarpus
تفسكا	Arractylis serratiloides
تليلوت	Capparis spinosa
إرغل	Cistus salviifolius
أوموسى/ لبسباس البلدي	Foeniculum vulgare
إيجا أومغار	Innula montana
سوسبان	Iris germanica
إكرز إيغيل	Lanvandula multifida
تموزريا	Lanvandula dentata
أزنوز	Lonicera periclymenum
إفزي	Marrubium vulgare
فليو	Mentha pulegium
تمجا	Mentha rotundifolia
لحباق	Ocinmum basilicum
تيدا	Pinus halepensis
حرمل/ بلعمان	Papaver rhoeas

المصدر: البحث الميداني 2008

يبرز الجدول أهمية التشكيلات العشبية داخل الغابة، حيث تتوفر على أصناف متنوعة وكثيرة، منها ما يميز المجال الغابوي المغربي ومنها أصناف محلية "كسوسبان" و"تفسكا" و"إركل". هذه الأصناف النباتية، نسبة مهمة منها تتواجد في قعور الأودية حيث وفرة المياه، إذ أن غالبيتها

ليست دائمة الخضرة؛ فهي أشبه أن تكون كمحصول زراعي بالنسبة للساكنة التي تعتمد عليها لأغراض مختلفة، خاصة التداوي والأعلاف.

الخريطة2 أهم التشكيلات النباتية بغابة أغبار

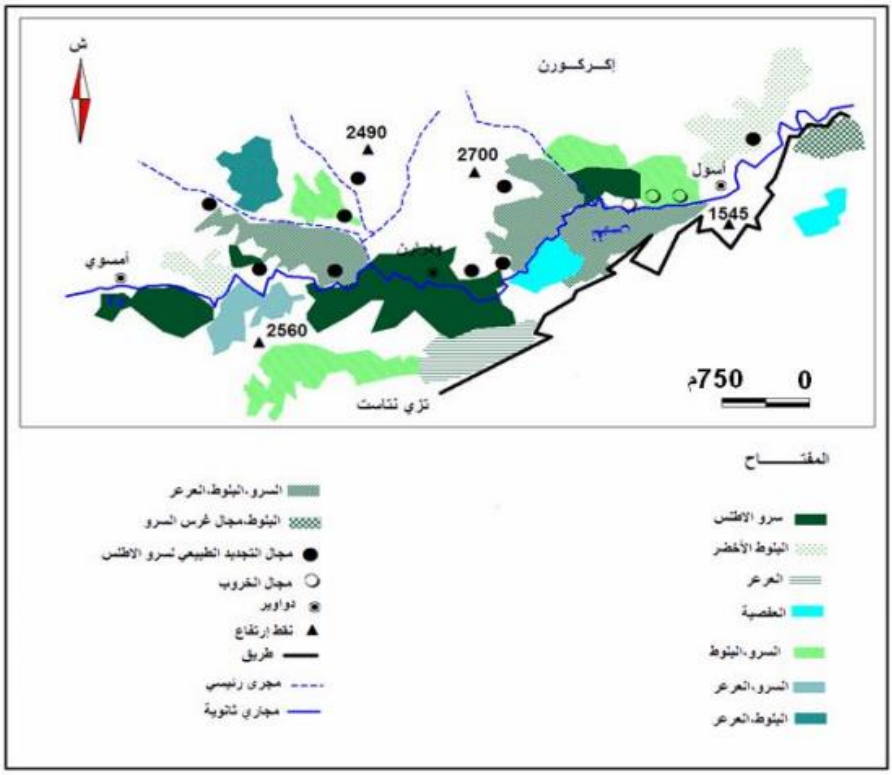

المصدر: عمل شخصي

ثالثا. واقع ودوافع الاستغلال الغابوي بحوض نفيس الأعلى/أغبار

تشكل الغابة المجال الحيوي الذي تتحرك فيه الساكنة، لكونها تعتبر أن من حقوقها التاريخية، حق استغلال المجال الغابوي التابع لها أو القريب لنفوذها، أي أن حقوق استغلالها غير قابل للتقادم، حيث أن امتلاك العقارات الغابوية حق للتجمعات التي تستوطنها (Wiely Delvingh, 2002, p85)، فجميع الدراسات تشير إلى تواجد علاقة متينة بين استغلال الموارد الطبيعية بشكل عام والغابوية بشكل خاص، وبين الفاعلين المستغلين للمجال في إطار ما يسمى بالمجال الحيوي للجماعة.

غير أنه في إطار القوانين التشريعية التي حلت محل الأشكال العرفية، جعلت الاستغلال الغابوي يتراجع، وكان أهم هذه التشريعات قانون 1917 المحدد لشروط استغلال الملك الغابوي. هذا الاستغلال المرتبط بالأساس بإشكاليات تاريخية وحاجات اجتماعية واقتصادية للسكان، مما ولد ضغطا كبيرا على الموارد الغابوية وذلك بتعدد وتنوع استعمالاتها، لذا فلها أهمية كبيرة بالنسبة للسكان، إذ تستعمل كأخشاب في البناء والتدفئة والطهي والرعي، كل هذه الوظائف كانت

غابة أغبار تقوم بها، إذ لا بديل عن استعمال الخشب (Mesalle.D, 1996, p116) ويفسر ذلك بغياب البنيات التحتية وبالتالي صعوبة الولوجية، فعدا الطريق الجهوية رقم 203 فجل المسالك التي تربط بين الدواوير مسالك وعرة، وتعدد عوامل استعمال المواد الغابوية بمجال أغبار نجملها فيما يلي:

1.ضعف مستوى التنمية الاجتماعية بالجماعة:

تقع جماعة أغبار في أقصى سلسلة جبال الأطلس الكبير الغربي، بين خطي طول $8^0'15$ و $8^0'30$ غرب غرينتش، وخطي عرض 31^0 و$30^0'45$، على مساحة إجمالية تقدر بـ 161 كلمتر مربع جنوب إقليم الحوز وتعد من أكتر الجماعات فقرا ليس فقط على المستوى الإقليمي وإنما الجهوي، حيث تصنف في الرتبة الرابعة إقليميا من بين الجماعات الأكثر فقرا على مستوى التجهيزات والدخل اليومي للأسر (projet de développement rural, 2007, p23) فعلى مستوى التجهيزات الأساسية التي تعد من بين الدوافع التي جعلت استغلال الغابة كثيفا ومستمرا بهذا المجال، تتميز بضعفها أو غيابها التام، مما يؤثر بشكل كبير على التنمية الاقتصادية والاجتماعية المحلية. فشبكة الطرق تتميز بالهشاشة خاصة التي تربط بين مركز الجماعة والدواوير، إذ ليست هناك أية تدخلات رسمية تستهدف تقوية المسالك الجبلية المتميزة بالوعورة، مما يجعل هذه الدواوير في عزلة شبه تامة، وبالإضافة إلى ضعف الشبكة الطرقية، فالجماعة تتميز بضعف تجهيز دواويرها بالخدمات الاجتماعية الأساسية، والأمر يتعلق هنا بالأساس بتزويدها بالماء الصالح للشرب والكهرباء، حيث أنه رغم التدخلات الرسمية والمحلية وتدخلات المجتمع المدني، إلا أن البنية التحتية الاجتماعية تتميز بغيابها شبه التام، إذ أن مجموعة من الدواوير لم يتم تزويدها بالماء والكهرباء.

فالدواوير التي تتوفر على شبكة الماء الصالح للشرب استفادت بفضل مجهودات المجتمع المدني، ورغبة الساكنة في تحسين وضعيتها من التجهيزات الاجتماعية. ناهيك عن غياب الكهرباء في جل الدواوير، حيث أن البرنامج الذي سطر على ثلاث مراحل لكهربة الدواوير لم ينطلق بعد. مما يدل على أن الساكنة لا بديل لها عن استعمال الموارد الغابوية كطاقة أساسية، الشيء الذي يجعل من تنظيم وتسيير المجال القروي والجبلي بالأخص الذي يتميز بظروفه الطبيعية والمناخية الخاصة معقدا.

يظهر إذن أن الدوافع الأساسية لاستعمال الأخشاب، يرتبط بالأساس بغياب التجهيزات الأساسية من ماء وكهرباء، وكذلك صعوبات الحصول على الطاقات العصرية البديلة كالغاز، وبالتالي فلا مفر للغابة من ضغط الساكنة. غير أن هذه الوضعية التي تعيشها الغابة لا ترتبط فقط بغياب هذه التجهيزات، إذ هناك الإشكاليات التاريخية المتعلقة بالاستغلال الغابوي.

2.الطلب المتزايد على حطب التدفئة والطهي والأعلاف:

تشكل الغابة وحدة تعدد الإنتاج من خلال ما توفره من أخشاب، فجل الدواوير تتموقع في المجال الغابوي، أي أن استغلال هذا المجال سيكون تلقائي، فهم يستغلون الخشب حسب القوانين العرفية وحسب حاجياتهم منها، ويرتبط هذا الاستغلال بالظرفية (البحث الميداني 2008)، حيث يتفاوت حجم استهلاك الأخشاب حسب الفترات، إذ يرتفع خلال الفترات الباردة. ففي المجال نجد

ثلاث إلى أربع حاجيات أساسية يوظف فيها الخشب، خشب الطهي والتدفئة، خشب تسخين الحمامات، خشب البناء، بالإضافة إلى جوانب اقتصادية أخرى كاستعمالها كأعلاف للماشية وتربية النحل.

ويصل معدل الأخشاب التي يتم جمعها إلى 150 كلغ في كل يوم لكل أسرة، نهيك عن الرعي شبه اليومي، مما يدل على ازدواجية استغلال الغطاء النباتي، كما أن طرق القطع والجمع تتخذ أشكالا متنوعة ومختلفة، حيث أن الكميات التي يتم جمعها من لدن الأسر من أجل الاستهلاك تتم بوسائل نقل خاصة، مما يشير إلى أن الكميات التي يتم جمعها لا يستهان بها، وكيف ما كانت طرق القطع والجمع في كل المجالات الغابوية، فإن حطب التدفئة والطهي يقتطع كميات كبيرة، إذ يتم على المستوى الوطني اقتطاع 12 مليون م3 من الحطب بينما لا تنتج الغابة إلا 4 مليون م3 وسيزداد الطلب على الحطب بـ 50% في الثلاثين سنة القادمة، في وضع يتسم بالفقر والحاجيات المتزايدة، تبين هذه الأرقام أن استعمال الغابة كمصدر رئيسي لحطب الطاقة له مخاطر وخيمة تتجلي في تدهور وتراجع الغطاء الغابوي وخاصة بالمناطق الجبلية، حيث تجلب الساكنة حاجياتها المعشية من الغابة (مصطفى نكار، 2008، ص17)، غير أن هذه الوضعية لا تقتصر على جمع حطب التدفئة والطهي والرعي، فهي مرتبطة بالأساس بالاستغلال القديم وبغياب البنيات التحتية القروية التي تمكن من ولوج الخدمات الأساسية.

3.ضعف التجهيزات المنزلية:

يتميز دخل الأسر بالضعف، مما يجعلها غير قادرة على تجهيز منازلها بأهم التجهيزات الأساسية التي قد تحيل بينها وبين الاستعمال المفرط واليومي للحطب، ولا تستفيد كل الأسر من هذه الخدمات لضعف مدخلها، ولصعوبة الحصول عليها في فترات معينة، ويوضح الرسم البياني التالي أهم هذه التجهيزات التي تعتمدها الأسر إلى جانب الاعتماد على الحطب:

المبيان 1 التجهيزات الأساسية للأسر بحوض نفيس الأعلى/أغبار

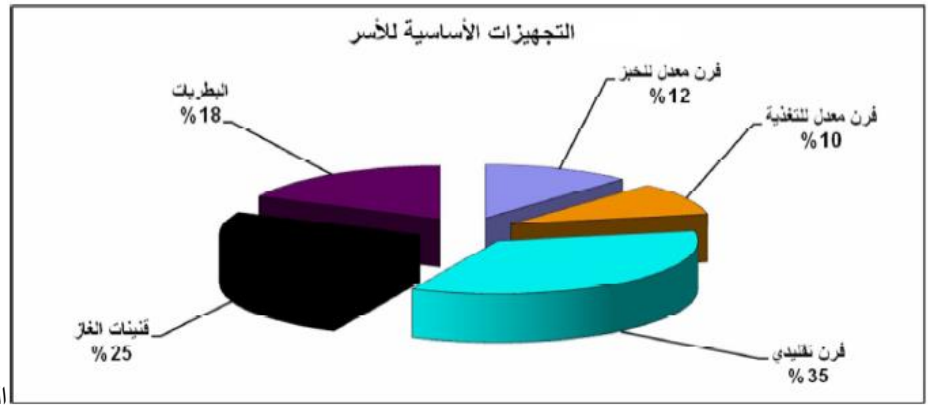

المـ

صدر: العمل الميداني 2008

يتضح من خلال الرسم البياني، أن حجم استعمال التجهيزات الأساسية للأسر ضعيف ويرتبط بضعف الدخل الأسري وبمحدودية الموارد الاقتصادية، الشيء الذي يفسر استمرار الطرق التقليدية المعتمدة على الخشب في الطهي والتدفئة، حيث أن الاعتماد على الأفران التقليدية في

الطهي يفوق باقي التجهيزات العصرية بنسبة 35 %، مما يجعل الطلب اليومي للحطب مستمرا رغم توغل التجهيزات الأخرى بديلة كالغاز إلى المجال، إذ أن نسبة استعماله تصل إلى 25 % وهو طاقة متعددة الاستعمالات، بالإضافة إلى بداية الاعتماد على طاقات بديلة كالطاقة الشمسية، حيث أن نسبة استعمالها تصل إلى 18 % ولها وظائف متعددة أهمها الإنارة وتشغيل الأجهزة المنزلية، إلى جانب دخول أخرى بديلة عن الأفرنة التقليدية، غير أن استعمال هذه الطاقات العصرية لا يشمل جميع الأسر، إذ يقتصر استعمالها على الأسر ذات الدخل متعدد المصادر، مما يفسر أن غياب التجهيزات الأساسية العصرية يزيد من طلب الأسر على حطب التدفئة والطهي، مما يجعل الحكم على تدهور الغابة وتراجع مساحتها يرتبط بالحاجيات المنزلية والجماعية في ظل ضعف التجهيزات الاجتماعية، هذا التعدد في مجالات استعمال الخشب يوازيه تعدد الأنشطة البشرية المزاولة داخل المجال الغابوي، فما هي أهم الأنشطة التي يزاولها سكان أغبار بمجالهم الغابوي؟

رابعا. تعدد وتنوع الأنشطة المزاولة داخل الغابة:

تتميز الغابة المغربية عموما وغابة أغبار على الخصوص، بتنوع وتعدد الأنشطة المزاولة بداخلها، هذه الاستخدامات؛ ما هي إلا آليات وعوامل ضغط مؤثرة على الموارد الغابوية، ما جعلها تكتسي طابع الكوارث التي بدأت تهددها في الآونة الأخيرة، والتي يعتبر العامل البشري المسؤول الأول عنها، بحيث تعد الغابة في المناطق المذكورة ضمن تلك التي لا تخرج من دائرة هذا الطرح الإشكالي. فالمشاكل التي تواجهها ترتبط أساسا بعوامل اجتماعية واقتصادية تجعلها عرضة للتدهور والاندثار، وذلك راجع إلى كون هذه الغابات تعرف ضغطا كبيرا من طرف الساكنة المجاورة التي تلجأ إليها لسد حاجياتها من حطب التدفئة وتعزيز النقص الحاصل في الوحدات العلفية، بالإضافة إلى القطع العشوائي للأشجار الغابوية، ويبرز الجدول أهم الأنشطة التي يزاولها السكان بغابة أغبار:

الجدول 2 أهم الأنشطة التي تزاول داخل المجال الغابوي

نوع النشاط	التردد	النسبة المئوية
الرعي	51	46.4
قطع الحطب	50	45.5
أنشطة سياحية	9	8.2
المجموع	110	100

المصدر: العمل الميداني

من خلال قراءة الجدول يظهر جليا أن عوامل تدهور وتراجع المجال الغابوي متوفرة، وتتميز بتعددها، فلا يقتصر تدخل السكان على نشاط دون أخر. ولكون المنطقة مجال جبلي يتميز بشدة تضاريسه وقوة انحداره، مما لا يسمح بالتوفر على أراضي زراعية تمكن السكان من إنتاج وحدات علفية من جهة، والبعد عن المراكز الحضرية بسبب العزلة وغياب شبكة طرقية من شأنها أن تقرب الأعلاف للأسر من جهة أخرى، فإن الرعي وقطع الحطب هما النشاطان الرئيسيان الذين تزاولهما الأسر وبشكل يومي، وذلك في إطار التقسيم اليومي للعمل بين الجنسين، ذلك أن النساء تتكفل بجمع الحطب، فيما الرجال يقومون بالرعي، والذي (الرعي) يشكل 46.4

% من استغلال السكان للغابة، أي أن له أهمية اقتصادية كبيرة مقابل إسهامه الكبير في تدهور الغطاء النباتي. غير أن استغلال المجال الغابوي لا يقتصر على النشاط الرعوي، إنما يشمل أيضا جمع وقطع حطب التدفئة والذي لا يقل أهمية عن النشاط الأول، فنسبة 45.5 % من السكان يزاول هذا النشاط إلى جانب الرعي وبشكل شبه يومي، مما يجعل الغابة تتعرض للاستغلال المفرط. وبالإضافة إلى النشاطين المذكورين، يمارس بعض السكان النشاط السياحي لكن ليس بمعناه المهيكل والمنظم الذي يعتمد على تجهيزات سياحية جبلية محلية، إنما يتعلق الأمر هنا ببعض الخدمات التي يقدمها السكان للزوار خاصة الباحثين منهم سواء أكانوا مغاربة أو أجانب من المهتمين بدراسة الغطاء النباتي، وتكون هذه الخدمة بمقابل مادي، الشيء الذي يجعل من هذا النشاط ذو أهمية اقتصادية بالنسبة للساكنة المحلية. فهل من مستقبل للنشاط السياحي بمجال أغبار، على اعتبار أنه محمية طبيعية متميزة خاصة بعد تشيد المسلك الجبلي الذي يربط المجال بالطريق الجهوية 203.

1.النشاط الرعوي عامل، من عوامل تدهور الغطاء النباتي:

نظرا لما يكتسبه هذا النوع من الأنشطة من أهمية على صعيد هذه المنطقة، والذي يشكل المورد الرئيسي لدخل السكان المجاورين للمجال الغابوي، أضحى الفضاء الغابوي الملجأ الأساسي لسد حاجيات الماشية فيما يتعلق بالنقص الوارد والحاصل في الوحدات العلفية، وذلك لكون حجم القطيع المتواجد بهذه المناطق يشكل ضغطا على الغطاء النباتي، ويتم تعويض هذا النقص باللجوء إلى الوسائل المنافية للتشريع الغابوي، وذلك بالرعي داخل المناطق الممنوعة إلى جانب قطف أغصان الأشجار. ويتخذ الرعي بأغبار أشكالا متعددة سواء أكان جماعيا أو فرديا، ويكون يوميا أو موسميا في إطار انتجاع القطيع إلى المراعي العليا. وقد تجمع بعض الأسر ما بين هذين النوعين، وما هذا إلا دليل واضح على دور الرعي الجائر في تدهور الغطاء الغابوي.

الصورة 3 تأثر الرعي الجائر على الغطاء النباتي بدوار إكيس

مصدر: مخطط تنمية دوار إكيس التابع لجماعة أغبار القروية

وتتميز حياة القطيع بتنقلين أساسين خلال السنة في الصيف والشتاء، غير أن قطيع الأبقار لا يخرج مع بقية القطيع خلال موسم الانتجاع، فالتحركات الأساسية للقطيع تتم في اتجاه العزبان، ويكون الغطاء النباتي في هذه الحالة في استغلال مفرط وواسع، إذ يصعب على الرعاة التحكم في

القطيع خاصة الماعز، الذي يعمل على القضاء على براعم النباتات الصغيرة سواء التي تنمو طبيعيا أو التي تغرس في إطار عملية تجديد الأصناف الغابوية، مما يجعل إمكانية تجديدها صعب، ويخل بالنظام البيئي وتوازن الغطاء النباتي، ويتم تنظيم هذه المراعي بطرق جماعية إذ أن التجمعات التقليدية كانت تكيفها بمقاييس اجتماعية بغية تحسين ظروف استغلالها من لدن الجماعات، ويتعلق الأمر هنا بالأساس بالأكدال الذي يتشكل من عزبان مؤقت (Benaija Abdalilah 1996, p71) هذه الأخيرة قد تكون قريبة من المجال، وبالتالي يكون التنقل سهلا وقريبا أو تكون بعيدة مما يتطلب قطع مسافة مهمة، هكذا تظهر أهمية هذه المراعي في تنظيم الرعي الجماعي، الذي يعتبر أحد أسس هذا النشاط الذي يشكل آلية من بين آليات الضغط على الغابة، مما يفرض ضرورة وضع برامج لإعادة تنظيم هذه المراعي، للحد من الرعي الجائر.

2. قطع وجمع الحطب:

يشكل قطع الحطب أهمية كبيرة في استغلال الموارد الغابوية، هذا التعامل مع حطب التدفئة الذي يستعمل كطاقة أساسية لساكنة قروية مهمة خاصة بالمناطق الجبلية؛ يبرز أن حجم استهلاك الأخشاب جد مرتع، مما يجعل معادلة استغلال الموارد الغابوية ومعدل تجديدها وتعويضها غير متكافئ. فحسب بعض الدراسات الوطنية التي أقمت بهذا الشأن، أهمها التي قام بها معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة سنة 1991 حول استهلاك الحطب في الأفرنة التقليدية لطهي الخبز بمدينة الرباط، والدراسة التي قام بها مركز تنمية الطاقات المتجددة، في أربعة مناطق هي مراكش، سوس ماسة، الأطلس الكبير ووادي درعة، سنة 1995، فإن ما بين 80 % إلى 98 %من الاستهلاك الإجمالي من الحطب في المغرب يستهلكها العالم القروي. وتشير تقديرات المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر، أن استهلاك الفرد من الحطب في العالم القروي على المستوى الوطني يصل إلى 512كلغ/للفرد/السنة أي 1.4 كلغ/للفرد/اليوم.

في مجال أغبار/حوض نفيس الأعلى، يختلف الوضع على ما هو عليه على المستوى الوطني، حيث يرتفع معدل الاستهلاك اليومي للفرد ما بين 3 كلغ إلى 5 كلغ للفرد حسب الأسر وحجم استعمالها للغاز في الطهي، حيث أن الأسر التي تستهلك كمية مهمة من الحطب هي التي لا تستهلك الغاز والطاقات البديلة، والعكس بالعكس، هذه الكميات المهمة من الحطب التي يتم قطعها وجمعها خلال الأسبوع توحي إلى الضغط الكبير الذي تتعرض له الغابة، غير أن الأصناف المستهدفة تتفاوت درجة الضغط عليها وتكون لذلك نتائج بيئية كبيرة. فعلى غرار باقي المجالات الجبلية؛ فالمجال الغابوي لأغبار يعرف ضغطا كبيرا، حيث أن عملية جمع الحطب تزاولها الفتيات والشباب بالنسبة للعائلات الممتدة، والنساء والأطفال المنقطعين عن الدراسة رغم صغر سنهم وعدم قدرتهم عن العمل بالنسبة للعائلات النووية.

هذا الاستغلال الكثيف للمجال الغابوي بمجال يعاني من الهشاشة الاجتماعية وضعف التنمية الاقتصادية، يؤدي إلى تسريع وثرة تدهور المجال خاصة مع تضافر عوامل طبيعية والأنشطة البشرية، منها التعرية المائية وضعف نسبة وحجم التجديد الطبيعي للغطاء الغابوية والرعي الجائر وقطع الحطب، غير أن هذا التدهور يتفاوت مجاليا، إذ يرتفع في مجال تواجد الدواوير الفقيرة التي تعتمد على الأخشاب بنسبة كبير كطاقة للطهي والتدفئة ويقل في المجال التي يتواجد

به سرو الأطلس حيث تتعامل المصالح الغابوية بصرامة كبيرة مع المنتفعين (الخريطة رقم)، مما فرض ضرورة التدخل من اجل الحد من هذا التدهور والتراجع ووضع خطط للتهيئة الغابوية للمجال.

الخريطة 3 مستويات تدهور الغطاء النباتي بحوض نفيس الأعلى

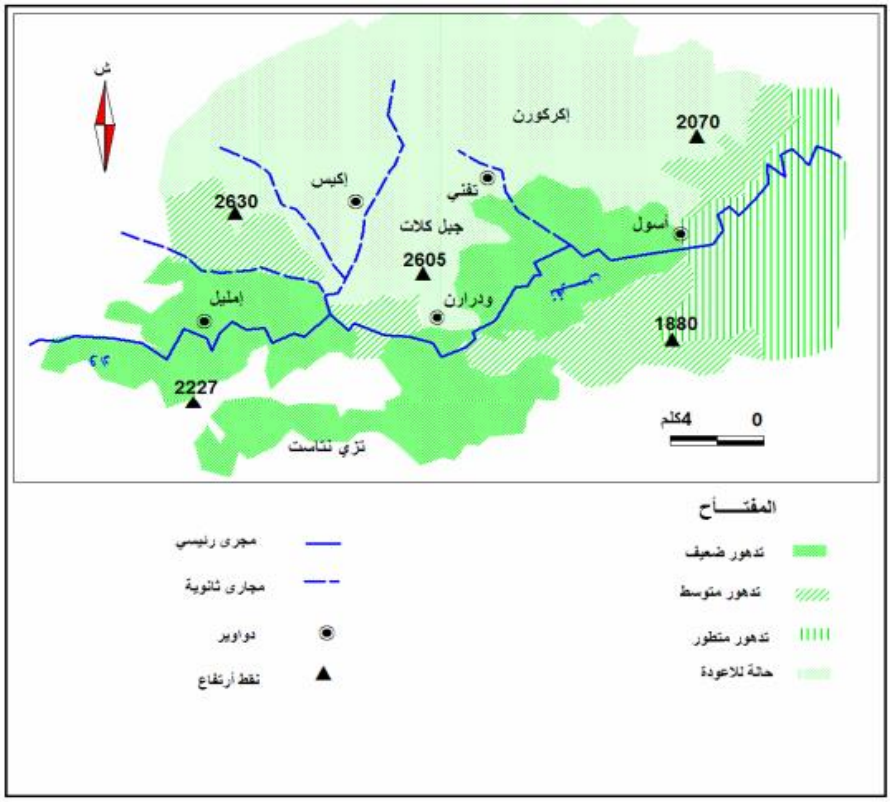

المصدر: العمل الميداني

خامسا. تدخلات الحد من تدهور المجال الغابوي لأغبار

مرت السياسة الغابوية بالمغرب بمجموعة من المراحل، تميزت بسن قوانين وإجراءات فيما يخص تدبير واستغلال المجال الغابوي. وتميزت كل مرحلة بوضع أهداف تهم المحافظة على الغابة واستدامتها لما لها من أهمية على المستوى البيئي؛ من خلال الحفاظ على التربة وإغناء للتنوع البيولوجي، وكذا لما لها من أدوار اقتصادية واجتماعية. لهذا جاء ظهير 20 شتنبر 1976 المتعلق بتنظيم مساهمة السكان في تنمية الاقتصادي الغابوي، وإشراك السكان والجماعات في ميدان تسيير تنمية الغابات واستفادتها من مواردها وتنظيم استغلال المراعي الغابوية، وهي اختصاصات نص عليها هذا القانون في مجموعة من النصوص(اسعد عبد المجيد، 1988، ص8).

وتميزت سياسة الغابوية بإنجاز مجموعة من المشاريع التي تهدف بالدرجة الأولى إلى حفظ الغابات المغربية من التدهور والتراجع، غير أن هذه البرامج ولأهميتها فإنها كانت قطاعية، وتتم

أحيانا دون إشراك جميع الفاعلين والسكان في انجازها، مما يجعل نتائجها غير مرضية ولا تحقق الأهداف المتوخاة منها، هذه البرامج والمخططات كانت جلها مستقاة من البرامج الوطني الغابوي (PNF) وبرنامج العمل الوطني لمحاربة التصحر (PNS) والبرنامج الوطني للمحميات (PNP) وعملت هذه البرامج على إنشاء مصالح إدارية تابعة لها، من أجل القيام بدراسات وتشخيصات للمجال الغابوي الوطني قصد تحديد أشكال التدخل الناجعة والملائمة لكل مجال غابوي.

وفي مجال نفيس الأعلى فتهيئة وتنمية المجال الغابوي تستند في مرجعيتها إلى البرنامج الوطني الغابوي وإستراتجية المناطق الجبلية، على أن تنمية هذا المجال الغابوي تتم عبر تدخلين؛ رسمي ومحلي مبني على العمل الاجتماعي التقليدي:

1.**التدخلات الرسمية في المجال والعمل على استدامة المجال الغابوي**:

تتمثل التدخلات الرسمية في تنمية المجال الغابوي لأغبار في التدخلات التي تقوم بها المندوبية السامية للمياه والغابات، حيث تعمل على دعم التنسيق بين الفاعلين الرئيسين للمندوبية السامية، كقطاع الطاقة والمعادن وقطاع الداخلية، بالإضافة إلى الجمعيات المهنية. وتعمل على الرفع من مستوى العرض عبر عملية التهيئة الغابوية وتدبير إنتاج حطب الطاقة للاستجابة لمتطلبات الساكنة القروية، وتطوير تقنيات اقتصادية للطاقة، بالإضافة إلى تعميم استعمال طاقات بديلة خاصة المتجددة منها. وتكون هذه التدخلات في المجال على ثلاثة قطاعات أساسية؛ إعداد المراعي الغابوية وإصلاح المسالك الغابوية، ودعم عمليات التشجير والتجديد الطبيعي للغابة وإحياء الأرض وتفعيل المقاربة التشاركية.

1.1 إعداد المراعي الغابوية:

عملت المصالح الغابوية كخطوة أولى على تحديد المجال الرعوي الذي يقصده القطيع بشكل مسترسل، والمتمثل في المجال الغابوي بأغبار وتشكا، وفي المرحلة الثانية تم غرس نبات الصبار، خاصة في المجالات العارية من الغطاء الغابوي، وتصل المساحة التي يتم غرسها سنويا 100هكتار (Centre de Développement forestier d'Amzmiz 2008). وهدفت هذه العملية إلى تقوية وإنتاج الوحدات العلفية وتشييد مجالات رعوية أخرى. ويوضح الجدول التالي تطور مساحة إنتاج الوحدات العلفية بغابة أغبار:

الجدول 4 تطور مساحة إنتاج الوحدات العلفية

السنة	الساحة بالهكتار	المساحة التي أضيفت خلال السنة
2005	893.1	26793
2006	1027.97	30839
2007	1270.07	38102
2008	1823.57	44669
2009	1971.72	54707

Source :(Etude d'aménagement de la foret domaniale d'Aghbar ;MAI, 2003, p29)

يبرز الجدول أن مشروع تهيئة غابة أغبار وضع ضمن إستراتيجيته توسيع المساحة المجال الرعوي، إذ سيقلص ذلك من الضغط على المجالات التي ينشط فيها التجديد الطبيعي للغطاء الغابوي، حيث أن قانون 2002 يخول مبدأ دفع التعويض (مقاصة) عن الحرمان من ممارسة حق

الرعي بالمحميات، أي في المناطق المخصصة للتشجير والتجديد الطبيعي والتخليق عن طريق الاستغلال الغابوي بما قدره 250 درهم للهكتار سنويا، وسيساهم طبعا في إنتاجية القطيع ورفع إنتاج الوحدات العلفية، هذا المشروع يهدف إلى توسيع المجال الغابوي لأغبار الذي سيضمن الاستمرارية والحماية للمجال كمحمية طبيعية غنية بأصناف نباتية مهمة ذات أهمية إيكولوجية كسرو الأطلس.

2.1 دعم عمليات التشجير والتجديد الطبيعي للغابة:

تلعب عمليات التشجير والتجديد الطبيعي دورا هاما في الحفاظ على الإرث الغابوي، وتندرج ضمن مشاريع وبرامج التهيئة الغابوية، التي تتطلب توفر مجموعة من العوامل المساعدة لكي تحقق أهدافها السوسيو اقتصادية، وتجعل من الموارد الطبيعية مستديمة وتساهم في خلق التوازن الايكولوجي الذي يقلص من حدة التغيرات المناخية. لهذا عمل مشروع تهيئة محمية أغبار على حماية مجالات التجدد الطبيعي للغطاء الغابوي وبالأخص سرو الأطلس منها باعتباره النبات الذي يميز المجال، وتدعيم ذلك بالتشجير في مجالات أخرى.

أ.عمليات التشجير: تمت أول عملية تشجير بواد نفيس خلال فترة الحماية، وبالتحديد في بداية الخمسينيات، وهمت غرس الصنوبر الألبي وسرو الأطلس، وهو ما أعطى اليوم شريطا غابويا متميزا مكون من الصنفين المذكورين يمتدد من تزي نتاست إلى تمسا، (Saïd Mounir, 2003, p132) هذه النتائج جاءت بفضل سياسة التشجير، التي همت في أغبار غرس الأصناف التي كانت تتوفر قبلا في المجال، وكان الهدف من ذلك هو الحفاظ على النمط الايكولوجي الخاص بالمجال. وتهم العملية بالأساس سرو الأطلس والبلوط الأخضر، من أجل حماية تواجد سرو الأطلس وتدعيم المؤهلات النباتية للمجال والحفاظ على التربة من التعرية، ويصل معدل المساحة التي يتم تشجيرها سنويا إلى 100هكتار (Centre de Développement forestier d'Amzmiz 2008)، وهو معدل يرتفع وينقلص حسب حالة المناخ، إذ تم سنة 1996 تشجير 495.326 هكتار، 5.313 هكتار منها همت غرس سرو الأطلس.

ب.تدعيم والحفاظ على التجديد الطبيعي للتشكيلات الغابوية: يتميز التجديد الطبيعي للغطاء النباتي بغابة أغبار بالمحدودية في الزمان والمكان، خاصة بالنسبة لسرو الأطلس- ولا تقتصر العملية إلا على الأغصان الطبيعية- ويعزى هذا الضعف إلى كون سمة هذا المجال الغابوي الأساسية؛ هي التدهور والتراجع بفعل الاستغلال المفرط والدائم، فالظروف التي تحيط بالغابة سواء الطبيعية أو البشرية) التعرية، الرعي (تبرهن على غياب التجديد الطبيعي للغطاء الغابوي هذه الوضعية ناتجة أساسا عن الأنشطة البشرية:

-القطع والرعي، هما العائق الأساسي أمام عدم قدرة تجديد إنتاجية الغطاء النباتي، وفيما بعد عمل التعرية والناتجة عن تجريد السفوح من غطائها الحيوي.

-الحبيبات النباتية graines التي تتساقط، والتي من شأنها أن تلعب دور الخلف الطبيعي، يتم نقلها بواسطة المياه الجارية، كما يتم القضاء على الشجيرات الصغيرة التي تظهر بسبب الرعي.

-بعض الحبات تتساقط فوق نطاق صخري لا يساعد على إنباتها أو فوق أتربة غير متطورة وضعيفة الرطوبة، بيد أن التشكيلات النباتية التي تظهر خاصة على الضفة اليمنى لواد نفيس،

والتي تشكل مجال التجديد الطبيعي لسرو الأطلس، فهي تعد مجالات حيث الظروف البيئة ملائمة (ضعف عمل التعرية) وتقل الأنشطة البشرية خاصة الرعي، فعلى سبيل المثال بالنسبة لسرو الأطلس، يعتبر مجال أسول نغبار المجال الطبيعي الذي يتجدد فيه، حيث يستفيد من وجود تربة غنية وأكثر تطورا من جهة، والغياب شبه التام للنشاط الرعوي في هذا المجال من جهة ثانية، مما يدل على أن تجدد سرو الأطلس طبيعيا يمكن أن يتم في ظل ظروف ايكولوجية ملائمة وحيث يكون النشاط الرعوي مراقبا وأقل حدة.

ولهذا تعمل المصالح الغابوية على تسييج المجالات التي يتجدد فيها الغطاء النباتي وتمنع الرعي فيها للحفاظ على الشجيرات الصغيرة التي تنمو، ويتم تدعمها بالتشجير والمراقبة، والحرص على جمع البذور التي تتساقط ليتم غرسها من جديد في المجالات المهيأة والمعدة لذلك، إذ من شأن ذلك أن يوسع المجال الغابوي. غير أن هذه العمليات يجب أن تتم وفق مقاربة تشاركية مع السكان ومراعاة الحقوق الطبيعية للرعي، وذلك بتبني تنمية مندمجة وشمولية مما سيؤدي إلى تحقق النتائج المتوخاة من عمليات التشجير، فكلما توفرت للساكنة البدائل وتم إشراكها في هذه العملية سيكون حفاظها على الموارد الغابوية تلقائيا وستشارك في استدامتها، خاصة انجاز بعض المشاريع الاجتماعية التنموية.

3.1 المشاريع الاجتماعية: تعمل المصالح الغابوية المتدخلة والمكلفة بتسيير وتدبير المجال الغابوي بهذا المجال، على القيام بمجموعة من المشاريع التنموية الأساسية التي من شانها أن تشجع السكان من التخفيف على المجال الغابوي، وتهم بالأساس توزيع المعدات المنزلية من أفرنة ومطابخ معدة للطهي وقنينات الغاز بغية الحد من استعمال الحطب، غير أن هذه العملية ليست رسمية وتتميز بطابعها الانتقائي، أي أنها لا تتم سنويا ولا تشمل جميع الدواوير والأسر، هذه الانتقائية جعلت سكان دواري إمليل وويزمارن ينفون أن تكون المصالح الغابوية تساهم في التنمية ولا تشجع على عدم استغلالهم للمجال الغابوي، خاصة وأن الدواوير الأخرى تستفيد من هذه المشاريع. والى جانب هذا يتم توزيع الأشجار المثمرة وتشيد السواقي قصد تشجيع الفلاحين والمساهمة في رفع مداخلهم الفلاحية، وكذا تنظيم مياه السقي، وبالتالي تقوية السفوح وحمايتها من التعرية وتثبيت الغطاء النباتي.

يظهر أن تدخلات المياه والغابات الهادفة إلى تهيئة المجال الغابوي تتميز بمحاولة مقاربتها للتنمية في بعدها الشمولي، تتوخى منها تهيئة المجال الغابوي وتحقيق استدامة موارده، من خلال توسيع عمليات التشجير والحفاظ على المورث الغابوي وحماية المتجدد منه من جهة، وتعمل على مواكبة ذلك بتدخلات سوسيو اقتصادية من جهة ثانية، حيث تعمل على توسيع المجال الرعوي وتشيد المسالك الغابوية التي تساهم في تهيئة المجال الغابوي وتساهم في فك العزلة بين الدواوير فيما بينها، كما تشمل العملية أيضا تحفيز الفلاحين على حسن تدبير المجال من خلال مد السواقي وتوزيع الأشجار المثمرة وتحفيز الأسر للاعتماد على طاقات بديلة. وقد ساهمت هذه التدخلات في تحسين وضعية المجال الغابوي بنفيس الأعلى فتراجعت بذلك حدة التدهور والتراجع الذي يعرفه المجال.

2.دور التنظيم الاجتماعي تدبير المجال الغابوي:

يلعب التنظيم الاجتماعي دورا أساسيا في تدبير وتنظيم المجال، وينتج ذلك من خلال العلاقة التي تجمع بين الإنسان ووسطه؛ حيث أن كل تجمع/مجتمع في تاريخ البشرية ينتج مجاله الخاص وعلاقاته الإنتاجية والاجتماعية الخاصة حسب تطوره ومستواه التقني، فالإنسان إذن يعمل على تنظيم المجال وتغيره. وفي مجال دراستنا تتخذ أشكال تدخل الساكنة المحلية مظاهر متعددة، منها ما يتم بتنسيق مع المصالح الغابوية، أو الجمعيات المحلية، وهناك أشكال تتم وفق الأعراف أو ما تقتضيها الحاجة، ويبرز الرسم البياني أهم مظاهر هذا التدخل:

المبيان 2 أهم مظاهر هذه تدخل الساكنة المحلية في تنظيم وتهيئة المجال الغابوي

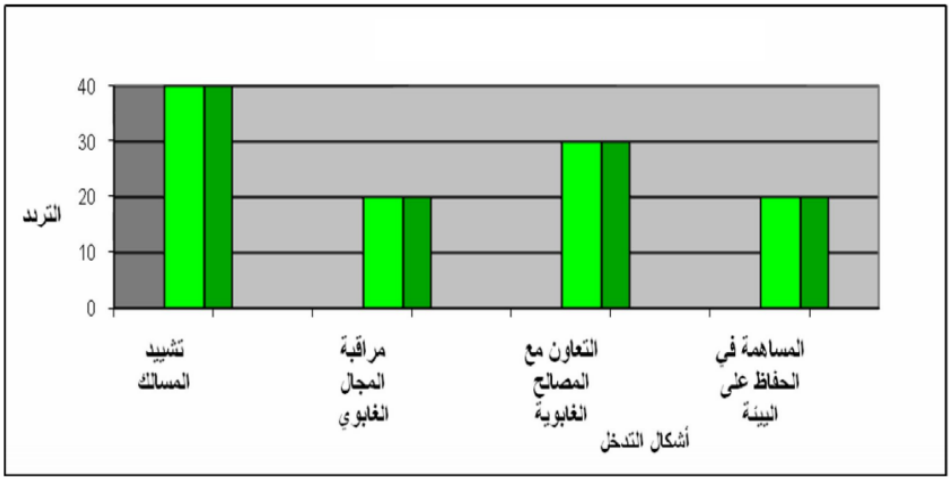

المصدر: العمل البحث الميداني

يتبين من خلال المبيان أن أشكال التدخلات المحلية متعددة وتحتاج فقط إلى الدعم، لكونها ستساعد على المحافظة على المجال الغابوي:

1.2 تشيد المسالك الجبلية: فعلى اثر العزلة التي تعيشها معظم الدواوير، ارتأت الساكنة المحلية تشييد مجموعة من المسالك الطرقية للربط بين الدواوير، وهي عمليات يتجند لها كل شباب المنطقة والجمعيات المحلية وهي مسالك لها ادوار متعددة؛ تساهم وتبسط عمليات الإعداد الغابوي على المصالح المتدخلة.

2.2 مراقبة المجال الغابوي: تتم هذه العملية بتنسيق مع المديرية الجهوية للمياه والغابات وتهدف إلى مراقبة الملك الغابوي من جهة، ومراقبة الأملاك الخاصة التي يهاجمها الخنزير البري الذي يقضي على الممتلكات العائلية من جهة ثانية، ويخصص لذلك شخص يسمى محليا **"أنزال"** ويتم ذلك بالتناوب بين الأسر، ويتقاضي على ذلك أجرة مقابل الفترة التي يقضيها في المراقبة.

3.2 التعاون مع المصالح الغابوية: يدخل ذلك في إطار الإنعاش الوطني للشغل، حيث تشارك الساكنة المحلية في عمليات التشجير والتدخلات الرسمية الأخرى كالمتعلقة بتشييد المسالك مقابل أجر، كما تسخر هذه المصالح مراقبين من السكان قصد المشاركة في مراقبة كل من يستغل المجال الغابوي بطرق سرية وغير معقلنة.

4.2 المساهمة في الحفاظ على البيئة: يتجلى ذلك من خلال عمل الجمعيات المحلية المهتمة بالبيئة، إذ تساهم وتشارك مصالح المياه والغابات وتدخلات مركز التنمية الغابوية، في تحسيس السكان بأهمية الحفاظ على المجال الغابوي وبالأخص صنف سرو الأطلس، والحفاظ على الأصناف الإحيائية المائية التي تم وضعها ببعض الأودية من طرف مهتم أجنبي، الذي عمل على اكتراء أسيف نجناتن قصد تربية أسماك الشورغوف، لما لها من ادوار بيئية واجتماعية تنعكس بالأخص على صحة السكان، وكونها ستساهم في تدعيم مجال أغبار كمحمية وطنية، التي من شأنها أن تجلب النشاط السياحي إلى المجال خاصة بعد إتمام تشييد الطريق الرابطة بين الطريق الثانوية 203 ومركز أغبار على مسافة 16 كلمتر.

يظهر إذن أن مساهمة السكان في الحفاظ على المجال الغابوي لا يستهان بها، فاستغلال هذا الوعي والتنظيم الاجتماعي وتدعيمهما بإشراك المستغليين المباشرين للمجال في إعداد وانجاز المشاريع، سيساعد في تنظيم استغلال الموارد الغابوية والحفاظ على الأصناف المهددة بالتراجع، وبالتالي دعم التدخلات الرسمية.

النتائج ومناقشتها:

يتميز مجال نفيس الأعلى/ أغبار، بمجاله الغابوي الغني بتشكيلاته الشجرية والعشبية أساسها شجرة سرو الأطلس التي تميزه عن باقي المجالات الغابوية المغربية، ساهم في هذا الثراء الطبيعي المناخ المتسم بطابعه المتوسطي، حيث يوفر تساقطات مهمة واعتدال في الحرارة مما يساهم في نمو غطاء نباتي متوسطي متنوع. ولكون هذا المجال تستوطنه تجمعات بشرية محدودة الموارد المالية، فقد اتخذت منه (المجال الغابوي) المورد الرئيسي لها، فتعددت بذلك الأنشطة المزاولة داخل المجال الغابوي؛ من رعي وقطع للحطب واجتثاث المجال الغابوي لتوسيع المساحة الزراعية، كل هذه العوامل المرتبطة بالنشاط البشري، بالإضافة إلى أخرى طبيعية كالتعرية وتحركات السفوح أدت إلى التسريع من وثيرة تدهور وتراجع المجال الغابوي. ومن اجل حماية هذا المجال الغابوي اتخذت عدة تدابير رسمية متمثلة في تدخلات الصالح الغابوية ومحلية متمثلة في التدخلات الاجتماعية، غير أنها تميزت (التدخلات) بطابعها الانتقائي والقطاعي.

ولكي تحقق تهيئة الغابات أهدافها يجب أن تبنى على مقاربة تشاركية وتشاورية، وتأخذ بعين الاعتبار خصائص المجال الغابوي ومؤهلاته وذلك من خلال:

-معرفة وتحديد المجال المراد إعداده، ودراسة تاريخ المجال الغابوي، وتحديد سياقه الجغرافي والسوسيو اقتصادي.

-يجب أن تتوافق طبيعة المجال الغابوي مع مشروع إعداد متعدد الأهداف.

-التشخيص والتدبير التشاركي مع كل المتدخلين والمستغليين للغابة، كالسكان والجمعيات والتعاونيات، في أي تدبير واستغلال للموارد الغابوي.

-إشراك جميع الجماعات القروية المعنية وكل الشركاء المؤسساتيين المتدخلين في المجال القروي، وبذلك تستطع المشاريع التنموية تحقيق الأهداف المبتغاة منها من خلال جعل الموارد الغابوية مستدامة مع مراعاة الحاجيات الأساسية للسكان الذين يعشون قرب المجالات الغابوية.

خاتمة:

بالرغم من التدخلات الرسمية ذات الطابع الشمولي المندمج أو ذات الطابع القطاعي، والتي سعت إلى تثمين التدبير الاجتماعي التقليدي للموارد الطبيعية خاصة الغابوية، فإن الحفاظ على الثروات الغابوية خاصة سرو الأطلس لم تحقق بعد أهدافها المنشود وذلك راجع لتشبث الأهالي باستغلال الملك الغابوي في ضل غياب بدائل اقتصادية وتنموية من شأنها الرفع من مستوى عيش الأسر وتقلل الضغط على الموارد الطبيعية. هذا وقد سعت الدول من خلال مصالح اللامركزية المعنية بتدبير المجالات الغابوية والرعوية إلى انجاز مجموعة من المشاريع الهادفة التي تحسين مستوى الاقتصادي والاجتماعي لساكنة المنطقة والحفاظ على حقوقهم في الانتفاع من المحال الغابوي المجاور لهم من جهة، ومن جهة ثانية السعي إلى الحفاظ على الموارد الغابوية خاصة سرو الأطلس واستدامته، ومن جملة هذه المشاريع دعم عمليات التشجير والتجديد الطبيعي للغابة، إعداد المراعي الغابوية، تدعيم والحفاظ على التجديد الطبيعي للتشكيلات الغابوية، المشاريع الاجتماعية المتمثلة في توزيع بعض التجهيزات المنزلية كالافرنة وقنينات الغاز، إلى جانب الدور التنموي الذي يقوم به المجتمع المدني من فتح المسالك والمساهمة في عمليات التشجير.

كان قدم التعمير الذي ميز الأطلس الكبير الغربي عموما ومجال الدراسة خاصة وتموقعه قرب إحدى أهم الممرات الجبلية بالمغرب (تيزي نتاست، تيزي تعني ممر) عوامل عجلت بالتدهور المطرد للغطاء النباتي، لكن الأبحاث العلمية والأكاديمية أبرزت الدور الايكولوجي لهذا المجال بتفرد بصنف ناذر على مستوى الغابة المغربية، فسارعت الدولة إلى الحفاظ عليه والحد من استغلاله المفرض، فهل تمكن التدخلات الرسمية من الحفاظ على التوازن الأيكلوجي بهذا المجال المتفرد؟ هل تمكنت من إقناع الساكنة بأهمية الحفاظ على سرو الأطلس كنوع نباتي نادر؟

قائمة المراجع:

1.اسعد عبد المجيد(1998)، الغابة ومالية الجماعات المحلية القروية بالمغرب، أشغال الأيام الدراسية المنظمة 15-16 أبريل 1988، الجمعية المغربية للقانون، كلية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، قسم القانون العام، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب.

2.مصطفى نكار(2008)، تدبير الغابة المغربية ورهان التنمية المستدامة، مجلة المجال الجغرافي المغربي ع12، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافية، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب.

3.عبد العزيز عبد الصادق(2009)، استغلال وتدبير الغطاء النباتي بالأطلس الكبير الغربي: غابة أغبار بحوض نفيس الأعلى نموذجا، بحث لنيل شهادة الماجستر، قسم الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي مراكش، المغرب.

4.وكالة الحوض المائي لتانسفت مراكش، المغرب.

5. مخطط تنمية دوار إكيس التابع لجماعة أغبار القروية 2004.

6.Alexandre Seigue(1985), La foret circumméditerranéenne et ses problèmes, Editeur: ERREUR PERIMES Agence de coopération culturelle et technique, Paris, France.

7.Benaija Abdalilah(1991), Organisation de l'espace et gestion des ressources naturelles chez les Ait Abdi du koucer, (INAU) Rabat, Maroc.

8.Farid El Wahidi(2004), Le Cypré De L'Atlas, Centre Régional de la Recherche Forstière, Marrakech.

9.M.AL-Ifriqui(1993), La dégradation du couvert végétal dans le Haut Atlas de Marrakech, couses et conséquences/Montagnes et Hauts-Pays de L'Afrique (2) Utilisation et Conservation des Ressources Faculté des Lettres, Rabat. Maroc.

10.Mesalle .D(1996), Les Montagnes Marocaine; développement et protection :Contraintes d'une utilisation durable des ressources Naturelles du Haut-Atlas. Paris, France.

11.Saïd Mounir(2003), Ressources forestières et contraintes socio-économiques chez Ait Ouassif du Haut Atlas de Marrakech ;Pour un système de gestion soutenue d'une cupressaie endémique. Les Cahiers de la Recherche de L4UFR DAR/ N 1.

12.Wiely Delvingh(2002), la foret des Hommes terroirs villageois en foret tropicale

Africaine, (INAU), Rabat, Maroc.

13.Carte topographique de Tagnadaft 1/10000

14.Centre de Développement forestier d' Amzmiz - EL Haouz- Marrakech.

15. Etude D'aménagement de la foret domaniale D'Aghbar : Mai (2004)

16.projet de développement rural dans les zones montagneuses de la province d'al-Haouz document de travail,(2007).